مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٧، العدد (١)، لسنة ٢٠٢١

College of Basic Education Researchers Journal
ISSN: 7452-1992 *Vol. (17), No.(1), (2021)*

صورة الآخر في رسائل لسان الدين بن الخطيب
قراءة تأويلية

أ.م.د. واقدة يوسف كريم داؤد الدوري
جامعة سامراء / كلية التربية / قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠٢٠/٩/٥ ، قبل للنشر في ٢٠٢٠/١٢/٢٧)

ملخص البحث:

الأدب الأندلسي قد خط ملامح هويته في الحضارة العربية والإسلامية والعالمية في ثمان عصور من الإبداع والإنتاج العلمي والأدبي، وبروز شخصيات يشهد لها التاريخ في العلم والأدب ، ويعد لسان الدين بن الخطيب من ابرز الشخصيات الأندلسية في الأدب وكيف نشأ سالكاً سنن أسلافه قراء القران ، واخذ علوم شتى ، وتنقله في المناصب الإدارية والسياسية ونال حظوة وجاهاً كبيراً عند السلاطين، وإذ لم يتركوه الحساد والمبغضين له واتهم بالزندقة وحرق كتبه ، وانتهت حياته وهو بعيد عن وطنه ومات مقتولاً.

ويرتبط مفهوم الصورة بمفهوم المرآة، التي تعرف بأنها سطح يعكس كل ما يقوم امامه واي شيء يمتلك خاصية السطح العاكس فهو مرآة... والذي يقوم امام المرآة يعرف باسم الأصل والذي تعكسه فهو يعرف بالصورة؛ وان ما يأتي الى العين هو نظرة تنظر الى الأشياء لا الأشياء ذاتها. والعين ترى عبر وسائط الثقافة والمخيال والمعتقدات اي ترى العين ما تود ان تراه لا ما يمثل امامها.

والصورة تعد معياراً فنياً لإبراز الجمالية في النص الأدبي تحددها أخيلة الأدباء وبراعتهم في اختيار الأدق وفقاً على نفسيته، وابعاد الصورة تعد خصيصة من خصوصيات التعبير الأدبي.

والآخر ممكن ان يكون مرآة يقرأ من خلالها الأنا فتصور الأنا لا ينفصل عن تصور الآخر وبالعكس؛ ووجود الآخر ضروري بوجود الأنا والعلاقة بينهما علاقة حتمية او قد تكون انعكاس للصورة.

وسوف اسلط الضوء وفق قراءة تأويلية لصورة الآخر سواء الآخر الموازي والآخر المضاد فضلا عن الإنسان والمكان في رسائل لسان الدين بن الخطيب.

الكلمات المفتاحية: الاخر؛ لسان الدين بن الخطيب؛ التأويلية.

College of Basic Education Researchers Journal
ISSN: 7452-1992 *Vol. (17), No.(1), (2021)*

The Image of the Other in the Letters of LiSan al-Din bin al-Khatib, an Interpretive Reading

Asst. Prof. Dr. Wakeda Yousif Kareem AL-Doori
University of Samarra / College of Education / Dept. of Arabic Language

Abstract:

Andalusian literature has outlined the features of its identity in the Arab, Islamic and global civilization in eight eras of creativity and scientific and literary production, and the emergence of figures that have been witnessed by history in science and literature. his movement in administrative and political positions won great favor with the sultans, and when the envy and those who hated him did not leave him, he was accused of heresy and burned his books, and his life ended while he was far from his homeland and died dead.

The concept of the image is related to the concept of the mirror, which is defined as a surface that reflects everything that stands in front of it and anything that has the property of the reflective surface, it is a mirror ... and that which stands in front of the mirror is known as the origin and which reflects it, it is known as the image; And that what comes to the eye is a look at things not the things themselves. The eye sees through the media, imagination and beliefs, meaning that the eye sees what it wants to see, not what is in front of it.

The image is an artistic standard to highlight the aesthetic in the literary text, determined by the imagination of writers and their ingenuity in choosing the most accurate according to its psyche, and the dimensions of the image are a feature of the peculiarities of literary expression.

The other can be a mirror through which he reads the ego, so the perception of the ego is inseparable from the perception of the other, and vice versa. The existence of the other is necessary for the existence of the ego, and the relationship between them is an inevitable relationship or it may be a reflection of the image.

I will shed light according to an interpretative reading of the image of the other, both the parallel and the opposite one as well as the human and the place in the letters of lisan al-Din ibn al-Khatib.

Keywords: other; Lisan Eddin bin Al-Khatib; interpretive

الصورة/ الآخر

قبل الولوج الى رسائل لسان الدين بن الخطيب والكشف عما تحمله من صور رسمها للآخر، لا بد من التطرق الى مفهوم الصورة اذ تعد اداة تميز الكلام الأدبي عن الكلام العادي، وتكون عبارة عن إثارة يشترك في إنتاجها الخيال الذي يستقبل المثير الخارجي وينقلها الى مخيلة المتلقي لتكون محبه او متحمساً لروعة المشهد في اعطائة مثيراً مادياً، تبعث الجمالية فيه ومصطلح الصورة واسع الانتشار في مجالات الثقافة المختلفة سواء كانت علمية او أدبية او فنية لذا ففي الصورة سمو وحياة النص الأدبي[١].

وهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة[٢]، وتعد الصورة من اكثر المفهومات التي تناولها النقاد بالدراسة والبحث لما لها "من أهمية بالغة في إحداث التأثير والإثارة في المتلقي قارئاً أو سامعاً، ولما لها من قدر كبير من المتعة الوجدانية للنفس البشرية"[٣]،

وقد يرتبط مفهوم الصّورة بمفهوم المرآة، التي تعرّف بأنّها سطح "يعكس كل ما يقوم أمامه، فأيّ شيء يمتلك خاصيّة السّطح العاكس فهو مرآة... وهذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل، وأمّا الذي تعكسه فهو يعرف بالصّورة أو الانعكاس، وتدور الصّورة مع أصلها وجودا وعدما، فإن وجدت كان الأصل موجودا، وإن انعدمت أو غابت كان الأصل منعدما أو غائبا"[٤].

انطلاقا من هذه العلاقة بين الصّورة وأصلها تأتي أهميّة الحديث عن الأنا والآخر وارتباطهما بهذا المصطلح "حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته"[٥]، ممّا ينتج تبادلا للنّظرات وتقاطعها فيغدو بذلك " النّاظر منظورا إليه، والمنظور إليه ناظرا في آن معا"[٦].

---

١) ينظر: الصورة الشعرية، س يدي لويس، ترجمة احمد نصيف الجنابي: ٢٠.

٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال: ٤٤٢

٣) الصورة النفسية في القرآن الكريم، د.محمد سليم محمد هياجنة: ٦.

٤) فلسفة المرآة، محمود رجب: ١٥.

٥) شخصيّتي كيف أعرفها، ميخائيل إبراهيم أسعد:٧٢ .

٦) فلسفة المرآة، محمود رجب:٥٥.

ويعد الآخر احد إرهاصات الثنائية (الأنا والآخر) وهو من المفاهيم البارزة التي تبنى عليها شخصية الإنسان، ولها الدور في تكوين المجتمع والتواصل بين المجتمعات الإنسانية، وهي من أهم احد العوامل المؤثرة في السلوك الاجتماعي للإنسان وتوجهه الفكري والثقافي. والتي تتراى في مرآة الإبداع الأدبي، وعلاقة الأنا العربية مع الآخرين يظهر مدى الوعي العربي بالآخرين وأهميتهم بالنسبة للحياة العربية وتظهر هويته من وجود الآخر وحضوره والوعي به لان إدراك حضور الآخر يؤدي الى شعور الذات بالاختلاف والتمييز كما ان الوعي بالذات والهوية يتنامى ويزداد عندما تعقد الذات المقارنات مع الآخر في نواحي التضاد والاختلاف او التوافق او التشابه وعندما تعاين الذات والآخر تظهر الفوارق الخَلقية والخُلقية والأيدلوجية تبدأ الهوية بالتشكل ويبرز الوعي بوجود هوية الآخر ايضاً[٧].

ونلحظ أهمية الآخر في حياة لسان الدين بن الخطيب وتأثيره بتغيير مسار حياته سلباً وإيجاباً، وكل ذلك يرجع الى البيئة التي عاشها لسان الدين بن الخطيب وكيف تأثر بالآخر ودوره الايجابي او الموازي والذي يتمثل بالشخصية العربية الاسلامية كان ام السلبي او النقيض والذي يتمثل بالعدو.

وقد ورد مفهوم الآخر في القران الكريم بالمعنى وليس باللفظ ويكون ابلغ واعم اذ يذكر في كتابه العزيز قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ[٨] وقوله: وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ[٩]. اذ الذكر غير الانثى وهو آخر في عالمه وأفكاره وحتى مسؤولياته واختلاف الألسنة وتعدد لغات العالم والتي تنتمي الى مجتمعات ودول متعددة واختلاف ألوانكم أي اختلاف العرق والنسب والذي يؤدي الى اختلاف مكانة الشخص.

وتورد في المعاجم باجماع العلماء الآخر بمعنى (غير)، فالفراهيدي "تقول هذا آخر، وهذه أخرى... ،والآخر والاخرى نقيض المتقدم والمتقدمة ومقدم الشيء ومؤخرة"[١٠]، وفي الصحاح ان الاخر احد الشيئين وهو اسم على افعل والأنثى

---

٧) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي: ٢٦.

٨) الحجرات : ١٣.

٩) الروم : ٢٢

١٠) كتاب العين: ١٠/ ٦.

اخرى[١١]، وفي لسان العرب "الآخر بمعنى (غير) كقولك رجل آخر وثوب آخر . قولة تعالى: فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا[١٢]. فقال الفراء معناه واخران من غير دينكم فالآخر بمعنى غير واصله أفعل من اخر، أي تأخر فمعناه اشد تأخراً ثم صار بمعنى المغاير[١٣]. والآخر في المعجم للمصطلحات الفلسفية اسم خاص للمغاير يقال للأشخاص والأشياء والأعداد ويطلق على المغاير في الماهية ويقابله الأنا[١٤]، والآخر في الدين الإسلامي يتحول الى آخر دولي اذ " عرف العرب الآخر من خلال الاحتكاك بالأمم المجاورة عن طريق الحروب او التجارة او المعاهدات والمواثيق فكانت بعض القبائل العربية تقيم علاقات جوار مع الآخر الفارسي او البيزنطي او الحبشي"[١٥]، وذلك لما للإسلام تأثير كبير في المجتمع العربي بتتغير نظرته الى الآخر وتحويله الى آخر فكري وعقائدي ، فالآخر يتغير بحسب طبيعة العلاقات بين الجماعات، ومصلحة كل جماعة من السياق الاجتماعي والسياسي مع الآخر، فالعدو قد يصبح صديقا بعد حين والصديق قد يصبح عدواً في وقت لاحق[١٦].

الآخر الموازي/ الإنسان

وان الإنسان بطبيعته يحتاج إلى الآخر، فان وجود كل منهما متعلق بالآخر، فوجود الأنا ضرورة بوجود الآخر، ووجود الآخر ضرورة بوجود الأنا فيمكن القول ان العلاقة بين الأنا والآخر علاقة حتمية. والأنا تمارس حيويتها الوجودية، بكل ابعادها الاجتماعية والسلطوية والمعرفية، على النحو الأجمل عبر وجود الأخر[١٧]. والعلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناسج للنص الإبداعي، وان كانت جدليتهما كثيراً ما تبدو مصطنعة في الخطاب الفكري، فأن الإبداع يتيح لها من مقومات البناء والصياغة ما يوسع امكانات تصورها والتعبير عنها، وبالمناسبة فان المفكرين

---

١١) مختار الصحاح : مادة (آخر)

١٢) المائدة :١٠٧

١٣) ينظر: لسان العرب : مادة (آخر)

١٤) ينظر : المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية: ٢٩.

١٥) صورة الاخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي : ١٤.

١٦) ينظر : الاخر العربي والاخر الفلسطيني، ضمن كتاب صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه: ٧٠١.

١٧) ينظر: الحب والفناء، علي حرب :١٠

يضيعون فرص الثراء عندما يلتقون حول قضاياهم دون ان يشعروا بغياب المبدع وبالحاجة إلى خياله وإلى حسه وحدسه، أي إلى قدرته على تجاوز الوعي التجريبي في اتجاه الوعي الممكن"[١٨].

ووجهة نظر سارتر يقول:" فوجود الآخر شرط لوجودي وشرط لمعرفتي لنفسي وعلى ذلك يصبح اكتشافي لدواخلي اكتشافاً للآخر كحرية تعمل اما لجانبي أو ضدي"[١٩]. ويقول:" عندما نقول ان الإنسان مسؤول عن نفسه لا يعني ان الإنسان مسؤول عن وجوده الفردي فحسب بل هو أحزانه ومسراته وقد يسعى الأنا غير المستقرة دائماً إلى الاندماج مع الآخر لتتمكن من مشاركته فيما يملكه من سلطان مكانية وغير مكانية[٢٠].

ولسان الدين بن الخطيب يطلب النجدة، اذ يبحث عن منقذ فنظر إلى الآخر " نظرة الغريق إلى المنقذ، والفقير إلى الغني، والمحتاج إلى المتفضل"[٢١]. يقول:**"يا وليَّ الله الذي جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات، ورفع الأزمات، وتصريفه باقياً بعد الممات، وصَدَّقَ نقولَ الحكايات ظهورُ الآيات..."**[٢٢].

اذ صور الآخر إلى أعلى المراتب بجعله (ولي الله) والولي هو الناصر والمتولي لأمور العالم، ومن أسماء الله عز وجل، ومالك الأشياء جميعاً والمتصرف فيها[٢٣]. فبالغ في صورة الآخر/ السلطان فهو يقضي الحاجات ويرفع الأزمات وكرماتهِ باقية حتى بعد مماتهِ، اذ يذكر في ان البوني قال أن: "الله تبارك وتعالى ينظر إلى قلوب أوليائه كل يوم كذا وكذا مرة فأذا وجد في قلوبهم محلاً لعبد وارى همتهم متعلقة باحد اكرمه وتجاوز عنه والحقه بهم"[٢٤]. فالمكان العالي للاخر قد نغترف قطرة من بحره الغزير ونحصل على نصيب من مكانه في قلبه لنحصل على مطلبنا، فضلاً عن ذلك ان العالي تتعالق دلالياً مع مستوى مكاني آخر فلسان الدين بن الخطيب كونه وزيراً وذا مكانه مرموقة في

---

[١٨]) صورة الأخر ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب:٣٨

[١٩]) الوجودية مذهب أنساني، جان بول سارتر:٧٢

[٢٠]) المكان في شعر ابن دراج القسطلي، غيداء احمد سعدون شلاش، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٦م، اشراف أ.د. نزهة جعفر حسن:٩٢

[٢١]) المديح، سامي الدهان:٤٧

[٢٢]) نفح الطيب:١٠٠/٣

[٢٣]) ينظر: لسان العرب، مادة(ولي)

[٢٤]) تاريخ النور السافر، العيدروس:٢٢٨/١

الدولة، فلجا إلى استخدامه للألفاظ ذات المكانة المرموقة التي يجب ان تقال وتسمع عند اصحاب المراتب العالية، وبما انه يحب ذلك لذاته فحاول ان يجعل أو ما يحب لنفسه من أوصاف وكنايات فاستعارها للآخر (السلطان) ليمثل صورة كبيرة ومتميزة في ذهن الأديب ورؤيته التواقة إلى السلطان فصور فيه مثله الأعلى واللجوء إليه عندما فقد الأنا يقول لسان الدين:" **قرعت بابَ الله سبحانه بتأميلك، فالتمس لي قبولي بقبولك،... واظهر علي كرامَتَكَ التي تُشَدُّ إليها ظهور الرِّحال، فقد جعلتُ وسيلتي إليك رسول الحق، إلى جميع الخلق، والسلام عليك أيها الولي الكريم، الذي يأمن به الخائف وينتصف الغريم**"[٢٥]. فأتى بـ(الباب) اذ يدل دلالة نفسية عميقة لدى الأديب فالباب ذو دلالة رمزية فاعلة يجسد فكرته عن الإحباط والخوف انه "ممر من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي"[٢٦]، ينفتح على العالم ويوصد على الأنا، طرقة الأديب وله امل في ذلك الآخر الذي به استعان ويحصل القبول من خلال مكان الآخر الذي لا ترد له حاجة وظهور كرامة الآخر على الأنا ويعظم من الآخر اذ تشد إليها ظهور الرحال، وتشد الرحال إلى ثلاث، المسجد الحرام ومسجد الرسول(ص) والمسجد الأقصى. فجعل من صورة مكان الآخر مماثلاً إلى مكان المساجد الثلاثة، ويؤكد من مكان الآخر بالولاية اذ يكرر(الولي) ويختم رسالته بـ(والسلام عليك ايها الولي الكريم) تأكيد على الولاية الدائمة للسلطان الذي يلجأ اليه الخائف ويأتمن به وتحت رعايته.

والأنا عندما يشعر بمكانه عند الآخر فأنه لا يتجاهل أقدارهم ومكانتهم ومنازلهم بل يحرص على مراعاة المواصفات التي يخاطبون بها فلسان الدين يخاطب السلطان أبا سالم المريني بمناسبة فتح تلمسان[٢٧] برسالة :"**مولاي فتَّاحُ الأَفكار والأَمصار، فائدة الأَزمَان والأَعْصَار، أَثيرُ هِبات الله الآمنه من الاعْتِصار، قُدوة أولي الأَيدي والأَبصار، ناصرُ الحقِّ عند تعدَّد الأَنصار، مُسْتَصرَخ المَلك الغَرِيب من وراءِ البحار، مِصْداق دعاءِ الأب المَوْلي في الأَصَائِل والأَسْحار**"[٢٨]. رفع وأعلا من الآخر انه فاتح ومحرر الأماكن على مر العصور وناصر الحق في كل مكان. وأرسل

---

[٢٥]) نفح الطيب:١٠٠/٣

[٢٦]) إشكالية المكان في النص الأدبي:٦٥

[٢٧]) تلمسان: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان بالنون بدل اللام، وهي مدينة عظيمة قديمة فيها اثار للأول كثيرة تدل على انها كانت دار مملكة الامم سالفة، بينها وبين المدينة سته اميال، وتعد أول بلاد المغرب. ينظر: معجم البلدان:٤٤/٢،وينظر الروض المعطار: ١٣٥

[٢٨]) ريحانة الكتاب:٨٩/٢

إلى السلطان أبي زيان عندما ولي أمر البلاد المغربية :"**مولاناه عصمةُ ديننا ودُنيانا الذي سخَّر الله البر والبحر بأَمْرِه، وحَكَمَ فوق السَّموات السَّبع بعزِّ نصره، وأَغْنَى يومْ سعده عن سلِّ السلاح وشَهْره، وفتَقَ عن زَهر الصَّنيع الجميل كمامةَ تسْلِيمه وصَبْره**"[٢٩]. هنا غإلى في مكانة الآخر فجعل من مكانه انه يتحكم في كل شيء في المكان سواء في البر أو البحر، وكل شيء يجري فيها يكون بأمره، وكأنه الله سبحانه تعالى سخر البر والبحر له لعظمة مكانته.

واغلب رسائل لسان الدين بن الخطيب التي يحدث بها عن الآخر يبدؤها بألفاظ ذات دلالة عالية لمكان الآخر منها قوله :"**سيدي، أبقى الله شرفكَ تشهد به الطباع، إذ ابعدت المعاهد المقدسة والرّباع، وتعترف به الأبصار والأسماع**"[٣٠]. فجعل لصورة الآخر السيد أي الرئيس والأمام الخير كما تقول العرب سيدنا أي رئيسنا نعظمه، فأبقى الله لك هذه المكانة الذي شهد له المكان بطباعه الذي يستحقه مهما بعدت المسافات بين المعاهد المقدسة والمنازل، ويعتر فلك المكان الذي انت به وكل الأبصار والأسماع.

ومن الألفاظ لصورة الآخر (السلطان) الذي بيده كل الأمور والحجج والبراهين وان سلالة هذا الآخر ذات المكانة والنسب من الأبن إلى الجد اذ يقول لسان الدين:"**السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله يرعى الذّمم، ويسلك من الفضائل المنهج الأمَمَ، ويُغْلي البضائع النافقه عند الله تعالى ويعلي الهمم، معظم قدره، وملتزم بره، الحريص على توفير أجره وتخليد فخره**"[٣١]. فان تكرار لفظة (السلطان) لرفع من الآخر والعلو من شانه، وان لجوء لسان الدين إلى صورة الآخر وسيلة للوصول إلى الآخر– الممدوح– وأصبح كالينبوع يستمد منه مادته فعد وسيلة للتعبير عن قيم الوجود الإنساني والمثل العليا في المجتمع[٣٢]. وجسد المكانة بدلالاته ورموزه مادة ذات شأن لدى المادحين يجدون فيه ما يطمئن صدر الآخر عليه من شموخ وكبرياء، وذكر المكانه التي تتلاءم مع الآخر، لان الأديب عندما يذكر الآخر لا يحاول ان يرسم صورة الآخر وإنما يحاول ان يرسم صورة شخصية تتمثل فيها كل

---

[٢٩]) م. ن:٢/٩٣

[٣٠]) نفح الطيب:٦/٤٢

[٣١]) نفح الطيب:٢/١٢٥

[٣٢]) ينظر:المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧: ٣٢٧

الصفات التي يقدرها المجتمع، شخصية مثالية قد تكون بعيدة كل البعد عن الآخر الا ان لسان الدين بن الخطيب يحاول طبعاً ان يربطها بشخصيته[٣٣]. اذ نحن "نقيم أنفسنا من منظور الأخرين، نحاول فهم اللحظات المقومة لوعينا ولكنها تظل خارجية بالنسبة له، وان نأخذ هذه اللحظات في اعتبارنا من منظور الآخر بصورة ثابتة تماماً يمكن القول اننا نتفحص تأملاتنا بحياتنا الخاصة ونتفحصها عبر وعي الأشخاص الأخرين"[٣٤]، واغلب الأماكن التي يحس فيها الإنسان بالحب والانتماء هي تلك التي تحيل إلى المكان العائلي ومتعلقاته وتداخلها مع العلاقات الإنسانية بين الأنا والأخر وقد لجأ لسان الدين إلى المقاربة بين صورة الآخر والعلاقات الإنسانية وتجانسها، فجعل من صورة الآخر كصورة الأب والأخ والأبن، ويمكن القول انه صورة معنوي قد يبعث في نفس الأنا الأمل والطمأنينة وعند الآخر الود والكسب. فلسان الدين بن الخطيب لجأ إلى الآخر وجعله الأب فيقول:"**ومقامكم الأبوي هو المستند الأقوى، والمورد الذي تَرِدُه آمال الإسلام فَتَرْوَي، وتَهْوِي إليه أفئدتهم فتجد ما تَهْوى، ومثَابتكم العُدَّة التي تأسّست مبانيها على البر والتقوى**"[٣٥]. فالأب هو السند القوي الذي يستند اليه في الشدائد وان مكان الأب يشعر الأنا بالدفء والحماية بحيث يشكل الآمن والاستقرار[٣٦]. ويؤكد لسان الدين على ان صورة الآخر كصورة الأب اذ يقول:" **وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد ، والذخر الذي تكرم من العوائد**"[٣٧]. لمكان الأب التمييز والعلو ولسان الدين جعل من الآخر مكاناً أليفا يلجأ إليه للتعويض عن فقدان المكان الآمن فلجأ إلى الآخر وجعله مكان الأب الذي يعد ذخراً للأبناء . وفي رسالة أخرى يقول:"**محل ابينا ابقاه الله تعالى**"[٣٨]. اذ يدعو للآخر وكأنه يدعو للأب بالبقاء وطول العمر، وهذا هو طبع الإنسان يدعو إلى من يحب بطول العمر وخاصة الأب، وحب الآخر هو عطاء حر من الأنا على

---

[٣٣]) ينظر: اشبيلية في القرن الخامس، د.صلاح خالص:٨٨-٨٩

[٣٤]) المبدأ الحواري:١٢٢

[٣٥]) نفح الطيب:٤/٤٢٥

[٣٦]) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د.شجاع مسلم العاني:٢/٩٩

[٣٧]) نفح الطيب:٤/٤٣١

[٣٨]) م. ن:٤/٤٣١

الآخرين... وهو عطاء يسر الأنا المعطية ويبهجها لانها تحس معه باتقاد الحياة، وتشعر بعظمة وجودها التي تطغي به على وجود الآخرين[٣٩].

وفي رسالة أخرى يقول:" **المقام الذي أُبوَّتُه مرعيَّة الحقوق، وآثار فضله متلُوَّة مع الغُروب والشُّروق، وقواعد وُدِّة لا تعارَض بالفروق، مقامَ محل أبينا، الذي نعظِّمه ونجلُّه، ونوجب له الحق، الذي هو أَحق به وأهله،... أَبقاه الله يَسْتَطْلع وجوه السعادة رائِقة، ويتلقَّى وجوه العنايات الإلآهيات مُتَسابقة، ويتجلى ثغورَها باسمة، وأَفنانَها باسِقَة، ويتقلَّدُ عقودها الرائِقة مُتَناسقة ، ومعظَّم مقداره، ومُلْتَزَم إجلاله وإكباره، العارف بمآثره الكريمة وآثاره، المُثْنى على أَصالة مُلْكه وكرمَ نِجاره، وفضله التي ثبتت صحائِح أَخباره، ثنا الروض على وِاكفات أَمطاره**"[٤٠]. جعل من الآخر مكان الأب الذي راعت حقوقه، وادى الأنا واجبه تجاه الأب ويدعو له في المساء والصباح اذ من طبع المؤمن ان يدعو عند الغروب والشروق، فيعظم الأنا مكان الآخر الذي جعله مكان الأب الذي يستطلع في وجهه السعادة التي شبهها بالثغور الباسمة والافنان الباسقة، وفي رسالة اخرى يقول:"**مقام محل أَخينا، الذي نجحت آمال الإسلام في الاستعانه بجلاله وصَدَقَته، مخيلته في كرم خلاله، وخَلَصَت في سبيل الله زاكيات أَعماله، وابتدر إلى الإصراخ والإنجاد والجهاد فيه حق جهاده، بمواعيده الصَّادقة وعزايمه المتلاحقة وأَمواله**"[٤١]. الآخر هنا بمثابة الأخ[٤٢] الذي نجحت امال الإسلام لمكانته وعظمته وشجاعته في الجهاد وانه صاحب العزائم وصادق المواعيد، وهذا هو طبع العربي في جعل مكان الآخر كمكان الأخ للمودة، فضلاً عن ان الدين الإسلامي جعل الرابط في علاقات المسلمين كرابط الأخوة، مهما كانت جنسيته مادام يجتمعون تحت راية الإسلام.

وفي رسالة أخرى يقول:"**أيّها الأخ الذي دُهش ناظري لكتابه، بعد أن أدهش خاطري من إغبابه وسرني من بشره إيماض،بعد أن ساءني من جهته إعراض، وجرت على ذكره الصله فقوّم قِدْحَ نَبْعتَها، وروّى أكناف تَلعتها، وأحدث ذكراً من عهدنا الماضي فنقّط وجه عروسه، وشعشع خمر كؤوسه، وسقى بماء الشبيبة ثراه...**"[٤٣]. فهنا اصابته

---

[٣٩]) ينظر: الشاعر والوجود في عصر ما قبل الإسلام ، باسم إدريس، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٢: ١٧٥

[٤٠]) ريحانة الكتاب:٥٢٥/١

[٤١]) ريحانه الكتاب:١٢٧/١

[٤٢]) صورة الأخر في النزاع العرقي، فيكتور بوكوتاستا، ضمن كتاب صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراُ اليه:٦٠٦

[٤٣]) نفح الطيب:٤٩١/٤

الدهشة من الآخر الذي جعله بمثابة الأخ من كتابه بعد ان تحير من بعدهُ عنه فسر بلمعان بشرهِ بعد ان ساء الاعراض التي لاقاها من جهته، اذ هنا الأنا عفا وفرح كثيراً من الأخر برغم ما لاقاه منه من بعد واساءة، وهذا هو العربي الاصيل الذي يسامح الآخر وينسى كل ما مضى وذلك لان العلاقات الإنسانية بين البشر علاقات حميمية لا تحمل في داخلها الظعن والعدأوة وبلحظه تسامح تنسى كل الاحقاد والعداوة اذا حصلت، أي ان الآخر"يقدم نفسه كل مرة في كينونة مختلفة، تبعاً للزاوية التي وضع فيها صاحب الدعوة، لكن نسبية الآخر هذه لا تقتصر على التفاوت في المستويات انها تتوغل احياناً في اختلاف المدلولات والمضامين"[٤٤]. فبين الأنا والآخر علاقه يجسدها الانتماء والإنسان يدرك " ان ذاته لا تقف وحدها معزولة عن بقية الذوات الأخرى، وعن العالم الموضوعي بعامة، وانما هي دائماً، ومهما كان لها استقلالها ليست الا ذاتاً مستمده، أولاً من ذات تعيش في عالم موضوعي تتفاعل فيه مع ذوات أخرى"[٤٥].

وقد يعد الأنا ان الآخر هو المنقذ الحقيقي فيلجأ إليه، فيقول: "**المقام الذي أَخبارُ سَعْده توسِّع الصدور انشراحاً، وتَطْلَع في ليل الشدائِد صباحاً، وتورِد ظمأَ الأَمل في موارِد السرور والجَذَل عَذْباً قَراحاً**"[٤٦]. جعل من الآخر انه عند ذكر اخباره تسعد وتنشرح الصدور، ويتحول المكان من الظلام إلى النور ويحل الامل في المكان.

وفي رسالة أخرى يقول:"**المقام الذي أَقمار سعده في انتظام واتِّساق، وجياد عزِّه أُسُّ للغاية القُصْوى ذات استباق، والقلوب على حبه ذات اتفاق، وعناية الله عليه مديدة الرِّواق، وأَياديه الجمة في الأعناق أَلزم من الأطواق وأحاديث مجده سَمَر النَّوادي وحديث الرفاق**"[٤٧].جعل من صورة الآخر هنا كالأقمار المنتظمة في السماء، وان القلوب متفقة في توددها لهذا المكان، وكل الذي فعله وقدمه الأخر يكون دين في الاعناق، وقد جعلها اكثر الزاماً من الأطواق وان أحاديث هذا الأخر تعد سمر النوادي لحديثه الشيق وشبه حديثه الذي يدار كحديث الرفاق والأصدقاء للدلالة على الود والاحترام بين الأنا والآخر.

---

[٤٤]) صورة الأخر:١٠١

[٤٥]) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د.عبد الواسع الحميري:١٧٠

[٤٦]) ريحانه الكتاب :٤٢٤/١

[٤٧]) م. ن :٤٢٧/١-٤٢٨

ويقول في أخرى:"**المقام الذي مآثره العليَّة، لا تحصى، ومكارمه السَّنية عمّت، الأَدنى والأَقصى، وأَحكام مجده ثبتت في كتاب الفخر نصَّاً، وبدور سعده، لا تخاف بفضل الله نقصاً، وعزايمه في نصر دين الإسلام، تروض من صرف الأَيام ما اسْتَعْصا،وتقضى للدين دينه الممطول مُسْتقصا**"[٤٨]. اذ الأنا يعظم من الآخر ويفخر به ويجعل من مكانه ومآثره ومكارمه الكثيرة تملى الكون من الأدنى إلى الأقصى لسعة هذا الكرم وشجاعته لنصرة الدين الإسلامي وكلها تدون وتثبت في كتب للفخر بهذه الأعمال، التي جعلت في المكان النصر لدين الإسلام.

ويقول: "**المقام الذي تيمنت البلاد بولايته، وتعرفت ببركته، بفَضْل الله وعِنايته وادَّخرت الاعتداد برأْيه في سبيل الله ثم برايته،وتوعَّدت الكفر بقيام قِيامته ، فطلوع شمسه من المغرب أَكبر آيتِه**"[٤٩]. ان المكان يتبارك بوجود الآخر فيه، وجعله مكان الشمس التي يشع النور بشروقها لعظمته وشجاعته ومكانه العالي علو مكان كوكب الشمس.

وقد ينسى الأنا كربه ويأنس غربته بوجود الآخر اذ يقول: "**فمقامكم الذي نَفَّس الكُرْبة، وأَنْس الغُرْبه، ورَعَى الوَسِيلة والقُرْبة، وأَنْعَش الأَرْمَاق، وفَكَّ الوِثاق، وأَدرَّ الأَرْزَاق، وأَخذ على الدهر باسْتِقالة العَهْد والميثاق**"[٥٠].

الاخر المضاد

والآخر قد يكون مساعداً ومسانداً وتحدثنا فيما سبق عنه، وقد يكون الأخر مضاداً وعدواً وسوف نعرض له، اذ وردت في رسائل لسان الدين الآخر المضاد الذي حارب أو وقف موقف معادي للانا، ويذهب ميشال فوكو إلى اعتبار الآخر " انه شخص غير طبيعي، ومجنون ومعوق"[٥١]. وباختين يدعم التعامل مع الآخر بمقولته التي تتضمن ان الشخص لا يستطيع ان يتميز أو ان يزين نفسه ويقيس محاسنها الا عبر الآخرين والمقارنه بهم أو معهم[٥٢].

---

٤٨) ريحانه الكتاب:١٢٧/١

٤٩) م. ن :١٥٢/١

٥٠) م. ن :٩١/٢

٥١) مفهوم ومواريث(العدو) في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوربية، فيلهو هارلي، ضمن كتاب صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه:٥٤

٥٢) ينظر: المبدأ الحواري:١٢٢-١٢٥

فلسان الدين يسخر من مكان الآخر العدو فيهجو ابن فركون بأسلوب تهكمي ساخر بقوله: **"جرو محقور، وفي جلدهِ كلب عقور، ولسان ناقور، سمع المجد عنه موقور، وشرارة قد حثها شرور، اخرق نشأ من صلفِ، ورمي من الوضاعةِ والدناءةِ يكلف، فلو تعلق سبب في ابي دلف لسعي عليه من تلفِ، ولو شهده مجمع الثريا لم يعد إلى مؤتلفِ، وقرد لا ينطبق وصف الؤم الا عليه، وسفيه يقال عند ذكره كفاك الله شرف من احسنت إليه"**[٥٣]. فجاء لسان الدين بصفات غير إنسانية للتقليل من شأن، ومكان الآخر. حتى وصفه أو اطلق عليه اسماء الحيوانات من(جرو، كلب، قرد)، كل هذا للسخرية والتهكم من مكان الآخر.

وقد يلجأ الأنا إلى عقد مقارنه بينه وبين الآخر المضاد لكي يظهر الفرق بينهما وعلاقة الأنا بالآخر ستبقى موضوعاً للإبداع الأدبي[٥٤].وان الحديث عن الآخر وسيلة للحديث عن الأنا[٥٥].

وقد يلجأ الأنا إلى هجاء الآخر للتقليل من مكانة وشأن الآخر المضاد والاستهانه به واظهار المعايب والمثالب وابراز النواقص والقبائح ويختار لها من الالفاظ والمعاني ما تكون شديدة الوقع في النفس ذات وقع اليم كي يسجل لها الذيوع والانتشار لان الناس يكلفون برواية ما يشين وحفظ ما به من عيب لشدة علوقها في النفس وولع الإنسان بما يسيء وشهوة الوقوف على عورات الناس[٥٦].

وقد يكون الأخر عدواً ولا يمكن ان يكون صديقاً وهذا ما سوف نلاحظه في رسالة لسان الدين وهو يتحدث عن ملك الروم فيقول: **"وقد تقرر لدى مقامكم الأَسْمَى ما كانت الحال آلت إليه بهذا الطَّاغية الذي غره الإمهال والإملاء، وأَقدمه على الإسلام التمحيص المكتوب والأبتِلاء فتمّلأ تيهاً وعُجْباً وارتكب من قهر هذه الأُمة المسلمة مَرْكباً صعباً، وسام كلمة الإسلام بأْساً وحرباً، بكتائب بَرّهِ توسِع الأَرجاء طعناً وضرباً، وكتايب بَحْره تأْخذ كل سفينة غَصْباً، والمخأوف قد تجأوبت شرقاً وغرباً، والقلوب قدبلغت الحناجر غمّاً وكَرْباً"**[٥٧].

---

٥٣) الكتبة الكامنة:٣٠٥

٥٤) ينظر: صورة الذات وصورة الأخر في الخطاب الروائي العربي، فتحي ابو العينين، ضمن كتاب صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه:٨١٣

٥٥) ينظر: بين الأنا والأخر ،الإسلام والحداثة، عبدالسلام حمير، مجلة المناهل،العدد٦٦-٦٧، ٢٠٠٢: ١٠١

٥٦) ينظر: الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية: ١٢٧

٥٧) ريحانة الكتاب:١٤٢/١

الآخر هنا مختلف بشكل أساسي عن الأنا اذ "الآخر هو المستبعد الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة"[٥٨]. قد بدأ الأنا بمكان الآخر المساعد لشعوره بالأمان اتجاه ويحدثه عن الآخر المضاد وكيف أصبح المكان عند حلوله فيه اذ قهر الامة المسلمة وسام كلمة الإسلام فالآخر هنا هو الكائن الذي تعامل معه الأنا خارج سياق انتمائه، ويمثل له الخصم الذي يقف موقف العداء من ذاته، فالأنا نفي للآخر بالضرورة، والآخر يمثل نفياً للانا[٥٩]. فان"توصيف الأنا على ما نرغب به، استدعى توصيفاً للآخر فيه كل ما نكره وجوده فينا"[٦٠].

فضلاً عن ان الأديب جاء بالتناص من القران الكريم في رسالته في (تأخذ كل سفينة غصباً)و(والقلوب قد بلغت الحناجر) الذي يزعزع الطمانينة ويثير القلق والتوتر في النفس في المواقف العصيبة فاستحضار النص القرآني كان مناسباً لسياق القول ومما يؤكد على صورة الأخر المضاد.

الآخر المكان/ الوطن

وان الانسان في الحياة يحتاج الى اشياء كثيره واولوية الاحتياجات هو الوطن اذ وعي الانسان منذ الازل ضرورة المكان(الوطن) واهميتة في حياته، وكان هذا الوعي باستقراره وثباته شرطاً من شروط وديمومه البقاء[٦١]، ونرى لسان الدين بن الخطيب انه عندما ابعد عن وطنه اصبح ، يتمنى ويحلم بالرجوع الى وطنه وان علاقة الانسان والوطن تتم وفق قانون الفعل ورد الفعل ، اذ بقدر ما يؤثر المكان(الوطن) ويحفز في الانسان خصائصه وملامحه فأنه يحفز بالانسان وفعاليته المستمرة، ويتفاعل الحدان على وفق علاقة جدلية مستمرة، وتظهر للمكان وظيفة فنية دلالية متصلة اتصالاً وثيقاً بالبعد الفكري للموضوع ويستلهم الأديب ما يعتمل في وجدانه وعقله من مشاعر وأفكار في رسم ابعاد المكان (الوطن) بشكل معين[٦٢] .

---

[٥٨]) صورة الأخر مفهوم ومواريث العدو في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوربية ، فيلهوهارلي، ضمن كتاب صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه :٥٤

[٥٩]) ينظر: الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، مصطفى عبد الغني:١٠٩

[٦٠]) اثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، د.نديم نجدي:٢١٢

[٦١] ينظر: أساطير العراق القديم، البابلية والسومرية دراسة في تشكيلها السردي، د. سوسن البياتي: ٦١.

[٦٢] ينظر: ملامح المكان في قصيدة الحرب القصيرة في العراق، د. مؤيد اليوزبكي، مجلة الرافدين ، ع٣١، ١٩٩٨: ١٦٦.

فاذا لسان الدين بن الخطيب يتحدث مع الآخر وان يكون يحلم او يتخيل وقد يخاطب الضريح يرجو منه الامل في تحقيق ما يتمنى فيقول: "**وأنا قد قرعت بابَ الله سبحانه بتأميلك، فالتمس لي قبوله بقبولك، ورُدَّني إلى وطني على أفضل حال، وأظهر علي كرامتَكَ التي تُشَدَّ إليها ظهور الرِّحال، فقد جعلتُ وسيلتي إليك رسول الحق،إلى جميع الخلق، والسلام عليك ايها الولي الكريم، الذي يأمن الخائف وينتصف الغريم**"[٦٣]. اذ لسان الدين ذاق مرارة الاعتقال والإبعاد حيث عمل بديوان الإنشاء لدى السلطان أبي الحجاج يوسف، حيث قلده السلطان ابو الحجاج عمل والده، ثم عينه رئيساً لديوان الإنشاء، وجعله وزيراً من وزرائه المقربين ، ثم عمل وزيراً لدى السلطان الغني بالله، ولكن لم تدم له الحال، فقد خلع السلطان عن عرشه، ونفي إلى فاس، في حين وقع ابن الخطيب في قدجنه السلطان إسماعيل بن يوسف الأحمر الذي اعتقله واستولى على أمواله وأملاكه، وظل ابن الخطيب معتقلاً حتى تشفع فيه سلطان المغرب، وبهذا نجا ابن الخطيب من القتل، واغترب عن وطنه، وابعد عن أهله، حيث لحق بسلطانه الغني بالله وأقام معه في مدينة فاس[٦٤] .

ان الظروف القاسية التي عاشها الأديب والأوضاع السياسية واضطراب الأحوال واضطهاد الحكام، مما اضطر إلى مفارقة بلده وقلبه يعتصر الماً لفراقه، ورغبته الشديدة في العودة إليه. فانه يحن إلى مكانه الذي اجبر على تركه، وبما انه قد لا يستطيع الوصول إليه والرجوع إلى وطنه فلجأ إلى الحلم والخيال عسى ان يحقق شيئاً لا يستطيع ان يتم على ارض الواقع فيستدعي ذاكرته بوساطة خياله فتظهر له بشكل" سلسلة من الصور الخيالية والحوادث المتخيلة فيشبع بها رغباته التي بقيت دون إشباع في الحياة الحقيقية وعلى صعيد الواقع"[٦٥] . أي تبنيه الذاكرة بما تخزنه من صور وعليه فأنه يكتسب بعداً زمانياً مزدوجاً[٦٦]. وان الحيرة واليأس التي أصابته جعلته يلجأ إلى التخاطب مع الضريح، هذا الضريح الذي يعد مكانه بعيداً عنه فتشد إليه الرحال وله امل في قبول طلبه وما يتمنى بالرجوع إلى

---

[٦٣]) نفح الطيب:٣/١٠٠

[٦٤]) ينظر: نفح الطيب:٥/٧٥

[٦٥]) موسوعة علم النفس:١٥

[٦٦]) ينظر: جمالة المكان، اعتدال عثمان:٩٤

وطنه فجاء بالفعل(ردني) أي الرجوع إلى ما كان عليه فبهذا الحلم والتخيل يرسم صورة معبرة عن التجربة الإبداعية الجمالية الحلمية لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه في الواقع من طموحات[٦٧].

اذ يجعل من العمل الأدبي شكلاً حلمياً موجهاً الى الخارج بعد ان كان في الداخل ، وقد عد ابن سينا الخيال – الحلم – والمصور مصطلحاً واحداً[٦٨]، والهدف هو اشباع الرغبة فالخيال – الحلم– كأي عمل فني ينشأ نتيجة الفعاليات المقدمة في تنظيم رمزي ، وكذلك الفن يحاول الربط بين ما يقدمه عن طريق التنسيق والتوازن والترتيب والتنظيم ويتحول العمل الادبي الى تعبير جمالي.

وفي رسالة أخرى يقول:"**فأين الرباع المُقثّأة؟ وأين الديار المبتناة؟ وأين الحوائط المغترسات؟ وأين الذخائر المختلسات؟ وأين الودائع المؤمَّلة؟ وأين الأمانات المحمَّلة؟**"[٦٩].

يحلم بالعودة إلى تلك الأمكنة فيظهر في هذا الحلم جزء كبير من حياته الماضية، ومن السعادة التي فقدها في هذا الحاضر فيحاول ان يحيي حاضره بذكريات ماضية، وقد يحقق له السعادة وإخراجه من واقعه المؤلم فهو يمثل البديل الأمثل فتتناثر المشاهد والاسترجاعات والأزمنة والأمكنة والشخوص بحركة مباحة وبحرية أدبية[٧٠]. ولم يجد متنفساً الا في صيغة الاستفهام (أين) لكي يمثل التساؤل الضائع الذي يدور في رأسه أو كاشفاً عما في نفسه من سر للحوار الداخلي للنفس الإنسانية ومبعث للتأمل الخصب يريد به الأديب ان يحاور الآخر ويبثه بشجونه وتأملاته على هذا الوجود[٧١]، وان استخدامه لأداة الاستفهام(أين) وتكرارها، يدل على حيرته ومعاناته وصراعية مع ألم الغربة اذ هذا الاستفهام ليس حقيقياً وانما مجازياً ليعبر عن صداً وشجوناً داخلياً باحت به آهاته وإشجانه وكتبها قلمه ، ولعلة يستمد من هذا التساؤل نوازع الدخول إلى الجوهر الحقيقي للبناء الأدبي أو بدايات الشعور بالتفاعل الذاتي مع العناصر الدافقة[٧٢]. فتمنى العودة إلى ماضيه السعيد الجميل، أو فيما كان من الممكن عودة تلك الأيام الماضية، فالأديب

---

٦٧) ينظر: التفسير النفسي للأدب:١٠٨

٦٨ ينظر: كتاب الشفاء،القسم الخاص بالنفس، ابن سينا: ٤٥.

٦٩) نفح الطيب:١٤٨/٥

٧٠) ينظر: نظرية التلقي، د.بشرى موسى صالح:٧٤

٧١) ينظر: الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر، سلام كاظم الأوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية ابن رشد،١٩٩١: ٩٣

٧٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د.نوري حمودي القيسي ود.عادل البياتي:١٤٧

يحن إلى ذلك الماضي بكل ما فيه لذا نجده يحاول بشتى الوسائل ان يخرج عن أطار الحاضر إلى أطار ألماضٍ يعبر الحنين إلى تلك الأيام فالحنين ما هو الا " لعبة زمنية تمنح الفعل الشعري قابلية اكبر على الحركة والظهور، وغالباً ما يتمظهر شعرياً عبر أسلوب سردي، يروي حكاية تامة العناصر تقريباً تبرر نهوض نداء الماضي"[٧٣].اذ ذهب الأدباء والشعراء إلى المراضع ووطن أو بلد ولادته ونشأته وترعرع صباه، فهذا أبو تمام يقول[٧٤]:

نَقِّل فؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهوَى ما الحُبُّ إِلّا لِلحَبيبِ الأولِ
كَم مَنزِلٍ في الأَرضِ يَألَفُهُ الفَتى وَحَنينُهُ أَبَداً لِأولِ مَنزِلِ

فالأديب عبر تقنية الاسترجاع انتقل من المكان الحاضر إلى الزمن الماضي واستطاع ان يسترجع تلك المعلومات التي علقت في ذهنه وبدت منسقة وغير مشوشة، فاسترجاع المعلومات " لا يكون... سهلاً وطيعاً ما لم تكن هذه المعلومات غير منسقة وغير مشوشة في الذهن، وما لم يكن الانطباع الأصلي الذي يعكسه الشيء في أذهاننا قوياً"[٧٥].

و لسان الدين يخاطب ابن السلطان أبا سالم قائلاً :" **وقلتُ يُهنيك يامولاي ردُّ ضالَّتها المنشودة، وجَبْرٌ لقطفته المعروفة المشهودة، ووُدُّ أُمَّتك المَوْدودة... مُسْتَنْقذ دارك من يد غاصِبها، وردِّ رُتَبك إلى مَنَاصبها**"[٧٦].

اذ يتمنى ان تعود بلاده، ويتم استنقاذ الدار من يد الأعداء وان هذا التمني مرتبط بالأجزاء ممكن هذا الآخر يحقق ما يتمناه فيرجع بلاده إلى الإسلام شبهها هنا بالضالة التأهة كونها صارت تحت حكم الكفار وخرجت من حكم المسلمين، فيخاطب الآخر متمنياً ان يحقق ذلك فيطلب منه إنقاذ الدار الذي كان فيه وإعادة الرتب إلى مكانها، اذ يشارك الأديب الآخر وهو السلطان لكونه صاحب سلطة عسى ان يستطيع ما يحلم به ويتمنى مستذكراً هذا الآخر بالماضي وحقه في إرجاع الماضي السعيد كان صاحب منصب وسلطة، فيحثه على استرجاعها فجاء بالألفاظ (دارك، رتبك) لتحفيزه وشد الحماسة لديه. وقد جاء بـ(الدار) ليعبر تعبيراً صادقاً عن إحساسه بالمكان، ولكي يظل

---

[٧٣]) المتخيل الشعري، أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي،د.محمد صابر عبيد:١٢٥

[٧٤]) ديوانه:٤/٢٥٣

[٧٥]) علم النفس المعاصر، حلمي المليجي:٢٤٩

[٧٦]) ريحانة الكتاب:٢/٩١

المكان محفوراً في الذهن، وهذا الاقتران يعطي للاصطلاح حضوره في حياة الفرد فالدار تمنح دلالاتها من الاستدارة والانغلاق، وكأن فعلها ذلك يؤمن للإنسان حيزاً ينعزل فيه عن غيره من الناس، ويؤمن له الراحة والأمن من جهة، كما يؤمن له الستر، فضلاً عن ان الدار امتداد لصاحبها في المكان والزمان معاً، وكلما قويت الدار واشتد ركنها، كلما كان ركن صاحبها شديداً متيناً، وبهذا رد السلطة إليه[٧٧]. اذ ان الحياة هي الزمان والمكان، والمكان رمز الخلود الذي يحن إليه الإنسان لتحقيق استقراره النفسي ووجوده الإنساني وتحويل الأحلام إلى حقيقة[٧٨].فيغدو الحلم رمزاً لحالة التأمل والتدبر في حقيقة الوجود ومشكلات الواقع، وما يكسبه الأديب من دلالات جديدة جراء هذا التأمل. وبالحلم يقاوم الواقع المادي ويقاوم النفي والبعد عن المكان فيقيم الأديب حواره مع عالمه المتخيل، انه " يلجأ إلى ايجاد البديل لهذه العلاقة فينكفئ على ذاته ليخلق من ذاكرته الوطنية وسيلة للتغلب على الاغتراب الذي يعانيه، اي انه يمهد لكسر حّدة اغترابه بإيجاد نمط جديد للعلاقة يتحدد بوصفه اداة هروبية من الإحساس بهذا الاغتراب"[٧٩]، فيلجأ الأديب إلى الحلم.

فلسان الدين يقول:" **وإنا لنرجو أَن يكون لكم في الجهاد بهذه البلاد الْقِدح المعلَّى، والأَثر الذي يتلى، فيُمن نقيبتكم قد أَشرف وتجلَّى،وعلى ميادين الظهور قد استولى**"[٨٠].

يتمنى ويترجى الحصول على النصر في هذه الجهاد الذي يخلص المكان/ الوطن من الكفر والظلم والاستبداد الذي كان سائداً فيها فيدفع الحماسة إلى المجاهدين وتحفيزهم على القتال والنصر وإعلاء النور في المكان/ الوطن .

وفي رسالة اخرى يقول:" **فنرجو أَن يروع الكفر من العزِّ بالله، وشد الحيازيم في سبيل الله، ونفير النعرة في سبيل الله، والشروع في حماية الثغور وعمرانها، وإزاحة عِلَلها، وجَلْبِ الأَقوات إِليها، وإنشاءِ الأساطيلَ وجَبْر ماتلف من عُدَّة البحر، أُمور تدل على مأوراءَها، وتحَبر بمشيئة الله عما بعدها، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ،وتزوّدوا فإِن خير الزاد التقوى**"[٨١] .

---

[٧٧]) ينظر: فلسفة المكان في الشعر العربي:١١١

[٧٨]) ينظر: الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام،صاحب خليل إبراهيم: ١٦-١٧

[٧٩]) صدمة الواقع في شعر السبعينات ، فخري صالح، مجلة الأقلام ،ع ٨، ١٩٨١، ٤٩

[٨٠]) ريحانه الكتاب:١٧٧/١

[٨١]) م. ن:٣٨١/١

يتمنى ويرجو النصر على الكفار من خلال الجهاد في سبيل الله لتحرير المكان/ البلاد وحماية الثغور وبناء ما دمره الأعداء وأزاحه كل ما يسيء ويضر بهذه البلاد، وتوفير الأمن والأمان وجلب الأقوات اليها وإنشاء الأساطيل وإعادة ما دمر وأعداد العدة والذخيرة من اجل الجهاد في سبيل الله فيتمنى القيام بذلك ويخبرهم ان كل ما تفعلوا من خير يعلمه الله من شد الازر والتهيىء للجهاد في سبيله، ويؤكد على ان الأيمان بالله، والتقوى هي اهم مايتصف ويتزود به المسلمين لتحقيق النصر في المكان.

وفي رسالة أخرى يقول:" **نحن ننتظر من مقامكم الذي هو سلالة ذلك المجد الصراح ولُباب ذلك الحسب الوضَّاح، وفرع ذلك الفضل المتأَلق تألق الصباح، ماعوّد أَسلافكم من الإصراخ والإسجاح، والأَعمال الكريمة الاختتام والافتتاح، وان تسلكوا مسلكهم في نصرها وإمدادها وحماية بلادها، وتثابروا على تخليد الفخر وإحراز مَرْضاة الله التي هي أَنْفَع الذُّخر،حتى ينشرح بكم صدر الإسلام...**"[٨٢]. هنا ايضاً يتمنى الحصول على النصر ويتمنى من الآخر/ السلطان ان يحقق ذلك ويحمي المكان/البلاد، وقد مزج لسان الدين بن الخطيب بين زمني الماضي والمستقبل (الاسترجاع،الاستباق)،اذ رجع إلى الماضي وتذكير السلطان ببطولة وبسالة ابائه واجداده، فذكر جهاد جده الاعلى وسعدت الامة بسعادة ايامه، وسلك ولده جد السلطان ابو سعيد، وانه اتبع دليله، ثم تلاه ولده أبو الحسن فجاهد حق جهاده، وها أنت ألان(السلطان) اذ حل الظلم ، وأملنا ونتمنى ان تحصل على النصر ، وان يسير السلطان الحالي على خطى سابقيه لتحقيق النصر وحماية البلاد، فان الاسترجاع للماضي الذي قام به الأديب هو ما تحويه ذاكرته من ذكريات اذ الماضي صار في الذاكرة فيحلم ويتمنى ان يكون المستقبل مثله وهو في علم الغيب .

في الذاكرة		في علم الغيب
الماضي ←	الحاضر ←	المستقبل
(حقق النصر بالجهاد)	(ظلم الكفار)	(تمنى حصول النصر)

فضلاً عن ان الأديب هنا عندما يسترجع الزمن من خلال حديثه في حاضره، لشد من ازر هذا السلطان وتحفيزه وتشجيعه في الحصول على ما يتمنى انه من سلالة هذا النسب الذي عرف بمجده وان ما قام به سابقوه حفظ في الذاكرة وسجل في التاريخ، مما يترك اثراً من نفس هذا السلطان لتخليد ذكره وذكر اباءهِ واجدادهِ. وهناك رسالة كتبها

---

[٨٢]) م. ن:٣٦٢/١،يمكن الرجوع إلى نص الرسالة كاملة

عن امير المسلمين ابي الحجاج في نفس الغرض قائلاً:"**واعتمادنا على مظاهرته ونصره لايلتبس منه طريق، ولا يختلف فيه فريق، ووُدَادنا في جنابه الأسمى أصيل عريق**"[٨٣].

فالأمل والتمني معتمدٌ على الآخر السلطان وما يحققه من نصر على الأعداء فهو قد عرف بعزمه وشجاعته وانه صاحب المكارم الشهيرة، ناصر الدين وقامع الكافرين، فضلاً عن اعلاء هذا السلطان عند المسلمين وحبهم اليه حب اصيل عريق. ولسان الدين يحلم بالحصول على مكان قرب احد الفضلاء وهو ابو زكريا يحيى بن عبدالله بن ولي الله يعقوب البادسي فيقول :"**ومن الله أسلُ ان يمتع بك، كما وصل سبب وليِّه بسببك، ويفردك بمقامة، ويشفيك وإيانا من علل الحس واسقامه، ويؤوينا جميعاً إلى يقطينة رحمته، بعد ابتلاع حوت الوجود والتقامه، فما هو ألا أوهام استحكمت، ومألوفات ازدحمت، وعوائد سوءٍ جارت اذ حكمت، حتى اذا شمس الحق تجلت، حالت صيغتها واضمحلت، والقت الارض مافيها وتخلت، وأدبرت شياطينها، التي اقتضاها طينها وولت، فأتسع المجال وذهبت الأوجال، وارتفعت الحجال، وحمدت سراها عند الصباح الرجال، واللطف معروف، أو المعنى معنى، وماسواه حروف، وأواني وظروف**"[٨٤]. ان لسان الدين يتمنى الحصول على المكانه بأسلوب الدعاء، فيدعو إلى ابي زكريا ويترجى الله ويسأله ان يمنح الآخر وبقاء ودوام العافية، ويميزه ويفرد له المكانه التي تليق به وتستحقه ويمزج في دعاءه للآخر الدعاء للانا، فيقول (ويشفيك وايانا علل الحس، واسقامه، ويؤوينا جميعاً إلى يقطينة رحمته، بعد ابتلاع حوت الوجود والتقامه) ان لسان الدين إلى جانب التمني لحصول الآخر على المكانة تمنى حصول الأنا على المكانة نفسها بصيغة دعاء متمناة، جمع في دعائِه للأخر دعاء للانا(يشفيك وإيانا)، الشفاء من كل داء وسقم، طلب تمنى الشفاء للآخر والأنا مقدماً مكان الآخر على مكان الأنا، وفي الدعاء تقدم النفس/الأنا على الآخر؛ ان شدة الرغبة في الحصول على المكان الآمن جاء بصيغة جمع المتكلمين (يؤينا) مؤكداً بـ(جميعاً) إلحاحاً في طلب التمني، للحصول والإقامة والتواطن في مكان آمن يحميهم من الأعداء مضمناً بذلك قصة النبي يونس (عليه السلام) مثلما حماه الله وهو في بطن الحوت. وان الولع والتعلق بالمكان والرغبة الشديدة في الرجوع، جاء لسان الدين في نهاية الرسالة مكرراً الحلم

---

[٨٣]) ريحانة الكتاب:١/٣٦٤-٣٦٥

[٨٤]) م. ن:٢/١٦٨

وما يتمنا الحصول عليه، فيقول :" **من محبهم الراغب في اجتماع الشمل الليلة بهم**"[٨٥] ينهي خطابه بالرغبة في اجتماع الشمل كي يحصل على المكان الذي يتمنى الرجوع اليه قرب ابا زكريا.

ان الأدباء الأندلسيون بشكل عام ولسان الدين خاصة بخيالهم استعاروا موادهم من الواقع وقد يعمد إلى التغيير ان كان مقتنعاً أو غير مقتنع، ويضيف اليها علاقات جديدة[٨٦]. فترتفع قيمة الصورة الفنية بمقدار نشاط خيال الأديب وايجابيته في التأليف بين عناصر الصورة المختلفة ويجسد فيها حياة متحركة[٨٧].

وبهذا نرى ان لسان الدين يتمنى من الآخر ان يمنحة المساعده ويحقق ما يرغب اليه من شفاعة والحصول على نعمه نتيجه للظروف القاسية التي عاشها الاديب لسان الدين واظطراب الاوضاع السياسية التي انعكست عليه وانعكاس احواله من العز الى الذل والغربة الشديدة التي حلت بنفسه فالاثر النفسي الذي خلفته الظروف وتغير المكان وتمنى الرجوع الى الماضي المشرق. فرسم لسان الدين في رسائلة لصورة الآخر سواء لصورة الآخر الايجابي وانعكاس هذه الصورة ما في نفسه اذ يرى في هذا الآخر الأنا وما كانت، ولصورة الآخر السلبي وهو العدو وكيف يود التخلص منه لاستعادة الآخر المكان/الوطن الذي يعد الرحم الذي كان يضم الجنين، الام التي تحتضن اولادها ان فقدان الارض الوطن المكان كل هذا يجعل من الانا التمني ولو بالخيال او الحلم بالرجوع الى زمن الاستباق لكونه الاجمل في حياته.

المصادر والمراجع

- **الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، مصطفى عبد الغني، مؤسسة اليمامة الصحفية، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٦م.**
- **اثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصرعند (أدورد سعيد، حسن حنفي،عبدالله العروري)، د.نديم نجدي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.**
- **أساطير العراق القديم، البابلية والسومرية دراسة في تشكيلها السردي، د. سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية،ط١، ٢٠١٠م.**

---

[٨٥] م. ن: ص.ن

[٨٦] ينظر: في النقد الادبي،شوقي ضيف:١٦٧

[٨٧] ينظر: بنية قصيدة المديح في الشعر العربي القديم: ٢٨٢

- **اشبيلية في القرن الخامس، د.صلاح خالص، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٩٨١م.**
- **إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، افاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.**
- **البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د.شجاع مسلم العاني، الوصف وبناء المكان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠٠٠م.**
- **بنية قصيدة المديح في الشعر العربي القديم، شعر ابن هانيء الاندلسي انموذجاً، د.فالح جميلي، دار النوادر، سوريا، ط١، ٢٠١٣م.**
- **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د.نوري حمودي القيسي ود.عادل البياتي ود.مصطفى عبداللطيف، دار الطباعة، بغداد، د.ط، ١٩٧٩م.**
- **تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر، محي الدين عبدالقادر بن عبدالله العيدروسي: المكتبة العربية، بغداد، د.ط، ١٩٣٤م.**
- **التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.**
- **الحب والفناء المرأة السكينة العداوة، علي حرب، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.**
- **الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د.عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.**
- **الروض المعطار في خبر الاقطار ، محمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق د.احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.**
- **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع مقدمة وشواهده محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.**
- **شخصيّتي كيف أعرفها، ميخائيل إبراهيم أسعد، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط١٩٨٧،٣م.**
- **صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩م.**
- **صورة الأخر ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.**
- **الصورة الشعرية سي دي لويس، ترجمة احمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد، بغداد، د.ط، ١٩٨٢م.**

- **الصورة النفسية في القرآن الكريم، د.محمود سليم محمد هياجنة، جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٨م.**
- **علم النفس المعاصر، حلمي المليجي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٤م.**
- **فلسفة المرآة، محمود رجب، ، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩٤.**
- **فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعية جمالية، د.حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١م.**
- **في النقد الادبي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٧م.**
- **كتاب الشفاء،القسم الخاص بالنفس، ابن سينا، تحقيق باكوش، المجمع العلمي تشيكوسلوفاكي براك، د.ط، ١٩٥٦م.**
- **كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي،، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.**
- **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٩٦٣م.**
- **لسان العرب ، لابن منظور محمد بن مكرم، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٣م.**
- **المبدأ الحواري دراسة في فكر ميخائيل باختين، تودوروف، ترجمة صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٢م.**
- **المتخيل الشعري، أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي، د.محمد صابر عبيد، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.**
- **مختار الصحاح، للشيخ الرازي، دار المعاجم، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.**
- **المديح، سامي الدهان، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٨م.**
- **معجم البلدان، للشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦هـ) ، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.**
- **المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، عبدالمنعم الجفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.**
- **موسوعة علم النفس، د. اسعد رزوق، مراجعة د. عبدالله عبدالدايم، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.**

- **نظرية التلقي، د.بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٩م.**
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.**
- **النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.**
- **الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، عباس بيومي عجلان، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دزط، ١٩٨٥م.**
- **الوجودية مذهب أنساني، جان بول سارتر، ترجمة كمال الحاج، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.**

الدوريات

- **بين الأنا والأخر ،الإسلام والحداثة، عبدالسلام حمير، مجلة المناهل،العدد٦٦-٦٧، ٢٠٠٢.**
- **جماليات المكان، اعتدال عثمان، مجلة الأقلام، ع٢، ١٩٨٦م.**
- **صدمة الواقع في شعر السبعينات ، فخري صالح، مجلة الأقلام ،ع ٨، ١٩٨١.**
- **المرآة والفلسفة ، محمود رجب ، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة الثّانيّة، جامعة الكويت، ١٩٨١.**
- **ملامح المكان في قصيدة الحرب القصيرة في العراق، د. مؤيد اليوزبكي، مجلة الرافدين ، ع٣١، ١٩٩٨.**

الرسائل والاطاريح الجامعية

- **الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر، سلام كاظم الأوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية ابن رشد،١٩٩١.**
- **الشاعر والوجود في عصر ما قبل الإسلام ، باسم إدريس، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٢.**
- **الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام،صاحب خليل إبراهيم، ماجستير ، آداب مستنصريه، ١٩٨٨م.**
- **المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧.**
- **المكان في شعر ابن دراج القسطلي، غيداء احمد سعدون شلاش، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٦م .**